

تفسير البحر المحيط

@ 279 @ الزمخشري . { إِنْ نَّهْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } ، يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله . .
والظاهر أن قوله : { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا } ، أنه وقت البعث وقيام الساعة ،
وكثيراً جاء : { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ } ، { وَلَوْ * تَرَى إِذْ
الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا * رُؤُوسِهِمْ * عِنْدَ رَبِّهِمْ } ، وكل ذلك في يوم القيامة
؛ وعبر بفرعوا ، وأخذوا ، وقالوا ؛ وحيل بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه بالخبر الصادق . وقال
ابن عباس ، والضحاك : هذا في عذاب الدنيا . وقال الحسن : في الكفار عند خروجهم من
القبور . وقال مجاهد : يوم القيامة . وقال ابن زيد ، والسدي : في أهل بدر حين ضربت
أعناقهم ، فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ، ولا رجوعاً إلى التوبة . وقال ابن جبير ،
وابن أبي أزي : في جيش لغز والكعبة ، فيخسف بهم في بידاء من الأرض ، ولا ينجو إلا رجل من
جهينة ، فيخبر الناس بما ناله ، قالوا ، وله قيل : .
وعند جهينة الخبر اليقين .

وروى في هذا المعنى حديث مطول عن حذيفة . وذكر الطبري أنه ضعيف السند ، مكذوب فيه على
رواية ابن الجراح . وقال الزمخشري ، وعن ابن عباس : نزلت في خسف البیداء ، وذلك أن
ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها ، فإذا دخلوا البیداء خسف بهم . وذكر في حديث
حذيفة أنه تكون فتنة بين أهل المشرق والمغرب ، فبينما هم كذلك ، إذ خرج السفیاني من
الوادي اليابس في فوره ، ذلك حين ينزل دمشق ، فيبعث جيشاً إلى المدينة فينتهبونها ثلاثة
أيام ، ثم يخرجون إلى مكة فيأتبهم جبريل ، عليه السلام ، فيضربها ، أي الأرض ، برجله
ضربة ، فيخسف بها في بیداء من الأرض ، ولا ينجو إلا رجل من جهينة ، فيخبر الناس بما
ناله ، فذلك قوله : { فَلَا فَوْتَ } ، ولا يتفلت منهم إلا رجلان من جهينة ، ولذلك جرى
المثل : (وعند جهينة الخبر اليقين) ، اسم أحدهما بشير ، يبشر أهل مكة ، والآخر نذير ،
ينقلب بخبر السفیاني . وقيل : لا ينقلب إلا رجل واحد يسمى ناجية من جهينة ، ينقلب وجهه
إلى قفاه . ومفعول ترى محذوف ، أي ولو ترى الكفار إذ فزعوا فلا فوت ، أي لا يفوتون ،
ولا يهرب لهم عنما يريد بهم . وقال الحسن : فلا فوت من صيحة النشور ، وأخذوا من بطن الأرض
إلى ظهرها . انتهى . أو من الموقف إلى النار إذا بعثوا ، أو من طهر الأرض إلى بطنها إذا
ماتوا ، أو من صحراء بدر إلى القليب ، أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم ، وهذه أقوال
مبنية على تلك الأقوال السابقة في عود الضمير في فزعوا . ووصف المكان بالقرب من حيث
قدرة الله عليهم ، فحيث ما كانوا هو قريب . .

وقرأ الجمهور : { فَـلَا فَوْتَ } ، مبني على الفتح ، { وَـأُخِذُوا } : فعلاً ماضياً ،
 والظاهر عطفه على { فَزِعُوا } ، وقيل : على { فَـلَا فَوْتَ } ، لأن معناه فلا يفوتوا
 وأخذوا . وقرأ عبد الرحمن مولى بني هاشم عن أبيه ، وطلحة : فلا فوت ، وأخذ مصدرين
 منونين . وقرأ أبي : فلا فوت مبنيًا ، وأخذ مصدرًا منونًا ، ومن رفع وأخذ فخير مبتدأ ،
 أي وحالهما أخذ أو مبتدأ ، أي وهناك أخذ . وقال الزمخشري : وقرء : وأخذ ، وهو معطوف
 على محل فلا فوت ، ومعناه : فلا فوت هناك ، وهناك أخذ . انتهى . كأنه يقول : لا فوت مجموع
 لا ، والمبني معها في موضع مبتدأ ، وخبره هناك ، فكذا وأخذ مبتدأ ، وخبره هناك ، فهو
 من عطف الجمل ، وإن كانت إحداهما تضمنت النفي والأخرى تضمنت الإيجاب . والضمير في به
 عائد على ا ، قاله مجاهد ، أي يقولون ذلك عندما يرون العذاب . وقال الحسن : على البعث
 . وقال مقاتل : على القرآن . وقيل : على العذاب . وقال الزمخشري وغيره : على الرسول ،
 لمرور ذكره في قوله : { مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ } . { وَأَنزَلْنَاهُمْ
 التَّنْزِيلَ } ، قال ابن عباس : التناوش : الرجوع إلى الدنيا ، وأنشد ابن الأنباري : %
 (تمنى أن تؤوب إليّ مي % .
 وليس إلى تناوشها سبيل .
 %) .

أي : تتمنى ، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون ، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت ،
 كما ينفع المؤمنين إيمانهم في